

في المرقص

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

جلست في ركن أرى منه الناس جميعا وذهبت أنتظر صديق .
والانتظار ثقيل ولكنه هنا مما يهون أمره ، فقد كان اليوم يوم
أحد ، وكان المكان غاصا بالفتيات الجيلات ، وكانت الموسيقى
لا تكف عن العزف ، فالرقص لا ينقطع وحركته لا تقتر ؛
ولا يزال الشبان ينهضون ويتقدمون من الفتيات وينحنون لمن
باسمين فترفع الواحدة منهن حاجبها الدقيقين اللذين يدوران
كأنهما مرسومان وتبتسم وتهض وبدأها على ثوبها لتصلح منه
ما أفسده الجلوس . وكان يخيل إلي أن كل إنسان هنا يعرف كل
إنسان آخر إلا العبد لله ، فاكنت أرى وجهه من أعرف . وصفت
لجاء خادم سمين أسود الوجه غليظه فقلت : اسقني شيئا مما عندك ،
وكان صوتي خافتا وقد زادت الضجة خفته ، قال الرجل على
وهز وجهه الكبير فقلت : هات أي شيء بارد .. أي شيء .. اذهب ،
فقد كان يحجب عني الدنيا

وأدبرت عيني في المرقص فسررتي المناظر . آه .. هذه
البيضاء ذات الثوب الأرجواني ما أحلاها .. شعرها ذهبي وخصله
الجميلة تهتز تبعا لحركة الرقص وكف زميلها على ظهرها تجعل
هيف خصرها واستواء ردفها أوضح وأوقع في النفس وأسحر
للعين ، وقد دارا الآن فأنا أرى كيف تمنح صاحبها صدرها ..
إن صدرها ليس على صدره .. كلا .. ثديها للأيسر وحده هو
الذي أراه على صدره .. ما أحلى هذا .. ليتني كنت مكانه
وأحلى ما فيها إشراف وجهها النضر .. إنها مسرورة تضحك
وتبني رأسها راضية مقبضة ، فليت شعري ماذا يقول لها هذا
الشاب الحاذق ؟ ..

واختفيا عن عيني وحجبهما غيرهما من الراقصين والراقصات .
آه .. هذه أيضا حسناء ولا شك .. ثوبها فيما يبدو لي قديم ..
ووجها باهت اللون .. والايض كثير .. ولكن معارفها حسنة
وعينها واسعة حوراء .. أم ترى هذا فعل الكحل ؟ لا أظن .
ولكن صاحبها لا يدنها من صدره وإني لأرى بينهما مقدار

شبر .. ولا يحادثها ولا يمس في أذنها بكلمة .. فهما يدوران
في صمت .. خسارة .. كنت أحب أن أرى وجهها وهي مسرورة
تضحك .. ذهبت الآن على كل حال .. فلتنظر إلى غيرها ..
ورافقي فرق ما بين الفتيات وهن يرقصن .. هذه واحدة
تقف من صاحبها كالسيف .. خط جسمها مستقيم تماما .. وتلك
التي تلبس هذا الثوب الأخضر تأى بساقها عنه وتلقي بصدرها
على الفتى ، فلو تخلى عنها لكان الأرجح أن تقع على الأرض
مكبوبة على وجهها الجليل .. أم ترى هذا ليس إلا وهما ؟ ومن
يدري ؟ .. لعلها تتق أن يغلط مراقبها فيدوس أصابعها الصغيرة
فهى لهذا تبعد بساقها عنه .. ومن يدري أيضا ؟ .. فسى أن
تكون غائبا أن تريح صدرها جدا عليه .. وهذه السمينة التي
تحرك جسمها الثقيل ببطء .. صاحبها أسمن منها فهما مسكينان ..
ألا ترى كيف يمسح عرقه .. ولكن الغريب أنى لا أراها تعرق
مثله .. وأحسب أن هذا من فضل الله فلو تصبب عرقها لثرت
على المسحوق ورسم خطوطا تجعل وجهها كأن فيه أخايد ..
ولكن لماذا وكيف لا تعرق ؟ ..

وسكنت الآلات وكانت الأرجوانية من خيراتي ولكن
وجهي كان إلى غير جهتها فلم أستطع أن أديره إليها .. قاتل الله
الشعور بالذات .. لماذا لا أنظر إليها ؟ .. لن أخطفها أو آكلها ..
ولا أظن أن نظري إليها يسوءها كما يسوءها الانصراف عنها كأنما
هى لاستحق نظرة .. وإنها والله لآية .. ولمحت شيئا عظيما إلى
يمينى في مدخل النافذة فالتفت فاذا الخادم الأسود الضخم الجثة
فضحككت - في سرى فما أستطيع أن أفهقه وأنا وحدى في هذا
الحشد - وحدثت نفسى أن الله اختار لي أن يكون هذا الزنحى
العظيم زميل في ليلتي هذه وأنيسى في وحدتي .. وحولت وجهي
عنه مستعيذا بالله ، ونظرت في الساعة ورجوت أن يحضر صاحبي
فيزيل هذه الوحشة وينحى عني هذه الغمة الحالكة السوداء ..
ولكن صاحبي لم يحنى فلا بد أن أعتمد على نفسى فالتفت إليه
وطلبت شيئا لأصرفه عن مكانه فذهب ووسعنى أن أجيل عيني
مرة أخرى في الجلوس فرأيت فتاة في ثوب داكن الحرة ذى شقين
وفي أذنها قرط هو حبة كبيرة من اللؤلؤ .. المزيف بالطبع ..
وهى سمراء فلعلها مصرية .. أعنى لا عبرانية ولا أوروبية ..
وشغلنى من أمرها أنى لا أستطيع أن أثبت أنى بدينة أم نحيفة ..

وتعجبت لهذا . . . ولكن المائدة أمامها وهي متكئة عليها بذراعيها فالبادي منها هو صدرها مضموما . . . ووددت أن تقف . . . أعني أن يدعوها أحد إلى الرقص . . . ولكني لاحظت أنها لا ترقص أبدا . . . ولم أر واحدا من هؤلاء الشبان دنا منها وانحنى لها أو ابتسم أو أشار أو فعل غير ذلك مما تدعى به الفتاة إلى الرقص . . . فهل هم يعرفون أنها لا ترقص ؟ . . . هي مثلي إذا . . . ولكني مهبط الساق فهل تراها . . . لا لا لا . . . إني رجل ، فلا بأس ولا ضير على من كسر يصيب ساقى ولكنها تكون مسكينة حقا إذا كان الله قد امتحنها بمثل ما امتحنني به . . . أعوذ بالله . . . كلا . . . لا أظن . . . وشاء حسن الحظ أن تقوم الفتاة في تلك اللحظة وأن تقبل على جيراني فإذا قدما سخيف جدا فانصرفت عنها وحدث الله الذي أبى أن يشغلني بها عن الجميلات . . .

وأطفئت الأنوار وبقيت بضعة مصاييح حراء وخضراء وعزفت الموسيقى لرقصة التانجو فقلت هذا أحسن وأمتع . . . وإذا بشاب أسود وعلى عيفيه نظارة يقترب من الفتاة الهيفاء ذات الثوب الأرجواني ويهز لها رأسه فتنهض مرتاحة مسرورة يا أسنى . . . أما إن هذا لغريب . . . من أين عرفها ؟ . . . بل من أين جاء ؟ فقد درت بعيني في المكان كله ولم أدع ركنًا أو زاوية إلا حذقت فيها ؛ ولست أعمى ولا قصير النظر وإن كنت أحمق قليل العقل . . . وهزرت رأسي مستغربا . . . وقلت لنفسى لولا أن الله ابتلاني بساق لاخير فيها أما كنت انهضانا أيضا لأراقص هذه البنت الجميلة ؟ . . . وزاد عجبى أنى رأيت بحسن الرقص وأنها فرحة به ومقبلة عليه . . . ورنث ضحكها الفضية فقلت لنفسى ياملعون . . . وظريف أيضا ؟ . . . إذن أنت تستحق هذه النعمة التي كنت أظنك غير جدير بها . . . وقد وهبتكها فليس أحق بها منك . . .

وكانت أصابعي تعبت بعبلة الكبريت وتحركها على صوت الموسيقى أراعى الراقصين ولا يفوتني أن أقعد حركاتهم إذا كان قد فاتني أن أشاركهم فجعلت أقول لنفسى . . . لا . . . هذه الميلة ليست حسنة ولا رشيقة . . . كان ينبغي أن يكون الانحراف فيها أقل . . . هذا الاحتمى يجب أن ينزل بكفه الغليظة إلى الخصر . . . ماذا يظن أنه يصنع ؟ . . . ألا يرى أن الفتاة تميل إلى الورا فكيف يبقى كفه على طرف الكتف ؟ . . . أما أنه لمجنون . . . وهذا الأبكم

ألا يجد كلاما يقوله لصاحبه فيشيع البشر في حياها ؟ . . . لماذا يدعها كأنما صب وجهها في قالب ؟ . . . في أى شيء غيرها يفكر هذا الأبله ؟ . . . أما لو كنت أنا مكانه ؟ . . . إذن لأريته . . . ولكني مع الأسف قاعد أنظر ولا أرقص . . . وقد خدرت ساقى من طول ما تركتها على أختها فلأرحها قليلا

وأنزلت ساقى والتفت وأنا أعتدل في مجلسي فإذا الزنجي — الضخم واقف إلى جانبي ، قفلت يالها من — ليلة سوداء . . . ماله لا يتحول عن هذه النافذة ؟ . . . وخطرت لي أنه يتوهم أنى قد أهرب منها فإنها تؤدي إلى شرقة تنتهي من آخرها إلى السلم ، قفلت أعطيه القروش التي لا يستحقها وأريجه وأستريح فقد طلبت شيئا باردا فجاءني بشاي سخن . . . وأحسب أنه لم يسمع أو لعله ظن الشيء شابا . . . فما أذكاه . . . وبدل إلى أنى أظلمه فليس ذنبه أنه أسود وإن جثته ضخمة وإن شكله بغيض . . . ثم إن له حقا في الوقوف حيث يشاء مادام لا يزحم المكان ؛ وأين بالله يقف إلا في مدخل باب أو نافذة استعدادا لتلبية الطلبات ؟ فلندعه على كل حال . . .

وأردت أن أنهض وأنصرف فقد تأخر صديقي جدا ولم يعد من المنتظر أن يحضر ، ولكني استحييت أن أمشي أمام هؤلاء الفتيات الجميلات وضنت بهن أن أعكر عليهن صفوهن برؤية رجل أعرج يطلع أمامهن ، وقلت أنتظر حتى يستأنفن الرقص ويشغلن به عني . . . ولست أستحي من العرج الذي منيت به فما فيه ما يدعو إلى الخجل ، لكني أكره الفضول وأستثقل من الناس أن يديموا النظر إلى رجلى كأنها شيء غريب جدا . . . وما ركبت الترام قط إلا ضايقني الناس بهذا الفضول . . . وما أكثر ما رأيتهم يتحدثون ويشيرون إلى ساقى غير عابئين بشعورى . . . ولهذا رأيت أن أتخذ سيارة لأريح نفسي من هذا الفضول

وودعت الخادم الغليظ وتحريت أن أرضيه فقد ظلمته وإن كان هو لا يدري ولا يعرف ما كان يدور في نفسي كلما وقفت إلى جانبي . . . وخرجت مترنحا — لا من السكر فما شربت إلا ماء فقد تركت الشاي — وانما كنت أترنح لأن رأسي كان يدور . . . ولى العذر فقد يحتمل المرء واحدة جميلة ولكن من العسير أن يحتمل فتنة كل هذا الجمال الراقص